بمناسبة قصة خسرو وشيرين

كلمة فى الشعر المرسل

للاستاذ مؤلف خسرو وشيرين

لقد تكرم الأستاذ اللوذعى صاحب الرسالة بكلمة نقد قيمة فى قصة خسرو وشيرين تناول فيها قالبها اوردادها من الشعر المرسل، وكان على عادته فى كتابته قاصدا قويا مهذبا

ولقد ادهشنى وايم الحق ان رأيت بالرسالة الغراء كلمة فى تلك القصة، وذهبت نفسى توغل فى هزة من الطرب أنستها مايجب عليها من وزن القول والقصد فيه.

وذلك لاتى منذ أخرجتها بعثت بها الى أساطين الكتاب والادباء وكبار المحررين، وانتظرت ان يقرأها بعضهم فيقول فيها كلمة، إما ان تكون كلمة نقد مر يظهر مافيها من تفاهة وسخف، وإما ان تكون كلمة نقد مهين يتعاقب فيها الاستهجان والاستحسان. وما كنت انتظر ان يقذف بالقصة فى زاوية الاهمال لأن صاحبها لم يكتب عليها اسمه، أو لأنه لم يلح فى طلب التقريظ، أو لأنه لم يلتمس إعانة أو حماية من أحد. فلما مضت أيام ولم أجد ذكرا لها على لسان ولا فى صحيفة، طويت ذكراها فى ثنايا الماضى وانسيت نفسى إياها، وقلت ألتمس التعزية لنفسى، أنها لم تكن جديرة لا بالثناء ولا بالذم، فلعلها فى نظر الادباء أقل من أن يحكموا عليها بالسخف والسقوط. هكذا قلت لنفسى ورضيت القول على شدته، لأننى كنت دائما أتهم نفسى بأننى كسائر المؤلفين موصوف بالعمى والغباء، فكم رأيت من المؤلفين من أسمعنى قوله، فجال فى فكرى عند سماعه ان أقول له « أسأت »، ولكنى ضعفت عن قول ذلك اللفظ فقلت له « أحسنت ». فصدق ما قلته وذهب عنى قرير العين موقنا أنه مؤلف مجيد موفق، وذلك العمى الخاص بالمؤلفين شبيه بما يصيب الآباء فى حكمهم على ابنائهم. قيل ان اعرابيا فقد ابنه مرة، فمر الصبى بقوم فرأوه شيها بالجعل القبيح، ثم مر الاعرابى بهم فسألهم عن ابنه فقالوا له صفه لنا، فقال لهم: « كأنه دنينير » اى كأنه دينار صغير من حسنه، وتردد بريق الجمال فى وجهه ونفاسته. وعلى ذلك لم استبعد ان أكون كأحد هؤلاء المؤلفين البغيضين، وحدث الله على ان وفقنى لفكرة اخفاء اسمى عن الناس حتى لاتنالنى معرة « قصة خسرو وشيرين ! »

قلت لقد دهشت اذ رأيت فى الرسالة كلمة عن تلك القصة، ولاسيما وهى كلمة من قلم استاذ اديب وكاتب أريب، لا أظنه يخدع عن غث القول وسمينه. ولما رأيته يتناول القصة فى أول مقاله بالثناء زدت عجبا، اذ كيف تكون تلك القصة جديرة بتقدير أديب كبير، ومع ذلك تجد من سائر الادباء مثل هذا الاهمال. وكيف لا تستحق من الادباء كلمة وقد استحقت من مثل الزيات كلاما، حسبى إذن اندفاعا مع هزة الطرب التى استخفتنى، وذهبت بالزان قولى عندما قرأت مقال الرسالة فى قصتى، فقد كنت أوثر ان الزم القصد فى قولى، لولا ان رأيت شيئا لم أتوقعه فانطلق قلمى برغمى.

حسبى إذن لوم الادباء والاساتذة، فلعل لهم العذر فيما كان، ولعلى أخطأت فهم قصدهم وعذرهم فما أكثر مشاغل الحياة وما أثقل أعباءها، واولى بى أن آخذ الناس كما أجدهم ولا أعتب على أحد منهم شيئا.

أما الشعر المرسل فقد رأيت الاستاذ الجليل قد وضعه تحت ضوء قلبه الوهاج فأعشى وهجه العيون وكاد يحجب مادونه. لا فائدة هنا فى ان يدافع أحد عن أسلوب من القول، ولا فائدة فى ان يحاول حمل الناس على تذوق مايحلو فى ذوقه، فهذا شىء من العبث وضرب من طلب المحال، غير انى أرى من حق ان أبين للناس كيف يجب ان يكتب الشعر المرسل الذى كتبت فيه قصتى «خسرو وشيرين» فان وحدة هذا الشعر هى الشطر الواحد، وليس البيت المكون من شطرين.

لقد تعارف شعراء اللغة العربية على وحدات متعددة لشعرهم، فأكثر القصيد وحدته البيت المكون من شطرين كما هو معلوم، والرجز وحدته الشطر الواحد مع مراعاة انتهاء كل وحدتين منه بقافية واحدة، وهناك المثلثات والمربعات والمخمسات على نادر معروف. وأما الشعر المرسل فوحدته كما تقدم الشطر الواحد. وأما حكمة ذلك فلا فائدة من بيانها. فان اختيار اوزان الشعر المرسل واختيار جعله من شطرات مفردة لم أصل اليها الا بعد درس واختبار ومحاولات تجريبية كثيرة. غير ان بيان أسباب ذلك الاختيار لايجدى نفعا، اذ ان تلك الاسباب مهما تكن وجيهة فانها لايمكن ان تحمل الناس على استحسان شىء لايبدو لهم مستحسنا. ولهذا أكتفى بأن أقول ان من يحاول ان يكتب الشعر المرسل

أو يقرؤه يحسن به ان يجعل وحدته الشطر الواحد ، وان يكتفي بما في الوزن من الموسيقى بغير ان يقف عند آخر الشطر إلا اذا كان المعنى ينتهي اليه .

ولم يلجأ أحد في لغة من اللغات الى الشعر المرسل لكتابة الاغاني ، وهذا مالا يراد به في اللغة العربية . فالاغاني وكل ما يعبر عن العواطف الثائرة التي تهز القلوب هزة وقتية قصيرة لا ينفع فيها الشعر المرسل . أقول هذا وا كرره كثيرا حتى لا يتزعج الادباء من دخول هذا الباب في اللغة العربية . وما انا ممن يحاولون هدم القديم اني افاخر بذلك القديم وقد تقدمت بي السن الى حدود القدم ، فلست ممن يتعلقون بالهدم ، ولست ممن لا يحرصون على كنوز القرون المتعاقبة ، بل أجد من نفسي أشد الحرص على تلك الكنوز ، وذلك لما استمد منها من لذة وحكمة . وانما اقصد الى ان أفتح بابا جديدا كان الى الآن مغلقا وهو باب القصة الشعرية أو الملحمة الطويلة ، وفي مثل هذه الابواب كانت القافية غلا يقيد المعنى ، ويغير مجاريه ، حتى أن شعراء اللغات الاخرى رأوا انفسهم مضطرين الى الاستغناء عن القافية والاكتفاء بموسيقى الوزن . ولو فعل البستاني مثل ذلك في ترجمة الالياذة ، ولو فعل شوقي مثله في رواياته المسرحية لكان لعملهما شأن آخر ، ولصارت الالياذة العربية اليوم في متناول المتأدبين سهلة لينة ، ترسم صورة الالياذة اليونانية الاصلية ، وليست كما هي اليوم ، فالقطع الشعرية الطويلة تكون طلا لا يابسا غير متناسق ، ولو كانت أجزاؤه من قطع مرمرية بديعة ، فانك عندئذ اذا نظرت في القطعة الصغيرة منها أعجبتك ولكنك اذا تابعت النظر اليها لتراها مجتمعة راعك منظر غير متآلف وحركات جامدة غير متوثبة مع الحياة .

لست ادعي انني أحسنت ، ولكني أقول قول الواثق أن الشعر المرسل يكون اداة اصلاح وسعة في اللغة العربية اذا وجد من يحسن القول فيه . وإذا أنا ضربت من قولي مثلا له فلست أضربه على أنه قول حسن ، ولكني اضربه على سبيل العرض للطريقة : وها انذا مختار قطعة من مواقف خسرو وشيرين ، وارجو أن تكتبها الرسالة الغراء كما اردتها أن تظهر — أي أن تكون وحدتها الشطر الواحد .

وقف بعض قواد الملك كسرى في أيام مجده وجبروته تحدثون ويتذمرون ، فأقبل عليهم شاعر البلاط (مهند) فقطع عليهم حديثهم فدخلوا في حديث دعابة مع الشاعر ، والقواد هم (اسفاذ) و (تخوار) و (حراز) .

حراز (ضاحكا)
أوه . مهند ؟ كيف حال الزمان ؟
(يعودون الى الهدوء)

مهند مثلما كنت دائما . أتغدى
ثم أغفو ، وبعد ذلك أصحو
ثم أغفو ، وبعد ذلك أصحو .
(يضحكون)

حراز سرك الله ، نعم تلك حياة .
(لتخوار) ياصديق تخوار . نعم الحياة .
(لاخوانه) هل سمعتم مقال مهند يوما ؟

تخوار : أنا بالحرب عالم ، غير اني
لست بالشعر عالما ياصديق .

حراز : (لمهند) قل لنا من بديع شعرك شيئا

مهند : لست ياسيدي أحب كلامي
(يشير حراز إشارة عدم التصديق)
لا تكذب فانما هو رزقي
وسبيل الارزاق غير حبيب
بائع الزهر ذاهل عن شذاه
لا يرى في الزهور الا بضاعة .

حراز غير أن الزهور لم تك يوما
غير محبوبة الشميم . أعدلي
ذلك الشعر اذ خرجنا لنلهو
يوم عيد النيروز

مهند كان جميلا
ذلك اليوم كم ضحكنا . ولكن . . .
(يهز رأسه كمن يتذكر شيئا يأسف على فواته)

حراز كم ضحكنا . أعده يامهند

مهند (ينشد) من أراد الصدق فليسمع ومن شاء السرور
ذقت ما في الدهر من حلو ومن مر مرير
وعرفت الناس عند اليسر والامر العسير
كنت أبكي إن بكى لهفان ذو قلب كسير
ولكم ضل فؤادي في فنون وغرور
فاذا بي بعد أن شيبني مر الدهور